ملخص البحث: العنوان: الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وسؤال المنهج

شهد الفكر السياسي الإسلامي في الفترة المعاصرة صحوة علمية وبحثية ملحوظة، تمثّلت في ظهور عدد من الأعمال والنصوص الفكرية المهمة، التي حاول أصحابها الجواب عن السؤال السياسي الإسلامي من منظورات معرفية مختلفة، وذلك في أفق التوفيق بين التقليد والتحديث، أو في أفق استئناف الدينامية الحضارية الإسلامية بعد حقبة الهيمنة الاستعمارية الظالمة. ولا نحتاج للتذكير في هذا السياق أن هذه اليقظة الفكرية – الإسلامية تزامنت مع انهيار النظام السياسي الإسلامي التقليدي، وتراجع شرعية مفاهيمه الأساسية، حيث ألصقت به أوصاف الرجعية، والاستبداد، والتخلف..

لقد تأثرت الدراسات المرجعية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر المتداولة بين المسلمين وإلى اليوم بسياقات ضاغطة تتصل بالظروف والإكراهات التاريخية والثقافية التي ظهرت في نطاقها، من أبرزها –على سبيل المثال لا الحصر– حادثة سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م، وحادثة الدولة الوطنية (الدولة – الأمة) بعد ذلك، وهيمنة الفكر السياسي الشمولي الاشتراكي أو الديكتاتوريات

العسكرية.. وقد حاول مفكرو السياسة المسلمون تأصيل مفاهيم الدولة، والشرعية السياسية، والقانون.. وتجديد الموروث السياسي في اتساق مع هذه الظروف.

ومن أهم دراسات الفكر السياسي الإسلامي التي ظهرت خلال الحقبة المعاصرة التي سنخصها بالدرس والتحليل نصوص ترجع للأعلام التالية: رفاعة الطهطاوي (1873م)، وجمال الدين الأفغاني (1897م) وتلميذه محمد عبده (1905)، ومحمد رشيد رضا (1935م)، وعبد الرحمن الكواكبي (1902م)، وعبد الرزاق أحمد السنهوري (ت. 1971م)، وأبو الأعلى المودودي (1979م)، وفاروق النبهان (1977م) والطاهر بن عاشور (ت. 1973م)، وعلال الفاسي (1974)..

إن الدراسة التي نتطلع للإسهام بها في هذه الندوة العلمية هي مقاربة منهجية للمنجز الفكري السياسي الإسلامي في الفترة المعاصرة، والذي تُعتبر إسهامات الأعلام السالفة الذكر ركنه الأساس، مقاربة تستند إلى فرضية أساس، وهي:

«إن أشكال ومستويات التأصيل والتجديد التي استند إليها المنهج في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وتحديدا في الدراسات المرجعية،

أمست متجاوزة، وبحاجة إلى إعادة نظر كلية»، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

إن التفكير في المسألة السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر اتخذ من الناحية المنهجية منحيين رئيسين، منحى التأصيل: حيث يسعى الباحث أو المفكر إلى رد المحدثات السياسية والوقائع المعاصرة إلى أصول الإسلام الكلية أو الجزئية، وذلك لإضفاء الطابع الشرعي على هاته المحدثات. ومنحى التجديد: الذي يسعى في سياقه الباحث إلى إعادة النظر في الفهم الموروث، ومراجعته بما يلائم المحدثات والوقائع السياسية الجديدة.

وما من شك أن هذا النوع من التفكير، سواء أكان في بعده التأصيلي أم التجديدي، أسهم في تحقيق قدر كبير من التوافق بين المفاهيم المركزية للإسلام والتحديث السياسي في أبعادها المختلفة، كما أنه أسهم في إحداث عدد من التوترات السياسية في الواقع العربي والإسلامي، لكننا اليوم، وإزاء هذا الموروث، يبدو أننا بحاجة إلى إطلاق دورة جديدة من التفكير السياسي الإسلامي بعد بروز مفارقات كبيرة ومكلفة بين التأصيلات، وأشكال التجديد الكلاسيكية، والمسيطرة على عقول كثير من المسلمين اليوم وبين تطورات التحديث السياسية، وخاصة على الصعيد الديموقراطي والحقوقي.

إن استئناف النظر التجديدي في الفكر السياسي الإسلامي في السياق الراهن يجب أن يتجه نحو تجديد منهج النظر السياسي الإسلامي تأصيلا وتجديدا، وهو ما سنحاول الاستدلال والبرهنة عليه في هذه الورقة.

واللّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل.